

في
التأوير الإسلامي
«٥٣»



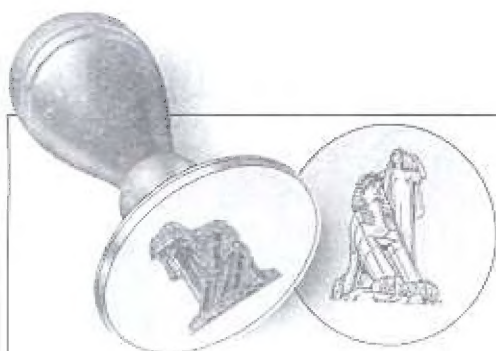
سُقْلَانَا بَيْنَ الْعَالَمِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَوْلَمَةِ الْعَرَبِيَّةِ

تأليف
د. محمد حمادة

مُسَقِّبَانَا بَيْنَ
الْعَالَمِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَالْعَوْلَةِ الْغَرْبِيَّةِ



تأليف
د. محمد حمادة



مستقبلنا بين العالمية الإسلامية.. والعولة الغربية

د. محمد عمارة

داليا محمد إبراهيم

يناير ٢٠٠٩

٩٢٨٥ / ٢٠٠٠ م .

I. S. B. N 977 - 14 - 1319 - 8

دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة ،

مدينة السادس من أكتوبر .

ت: ٢٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطوط)

فاكس: ٢٣٠٢٩٦ / ٠١١

٦٨ ش كامل صدقي - القجالة - القاهرة

ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٢

فاكس: ٥٩٠٣٢٩٥ / ٢ - ص.ب: ٩٦ القجالة .

٢١ ش أحمد عزابي - المهندسين - الجيزة

ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٢

فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ / ٢ - ص.ب: ٢٠ إمبابة .

اسم الكتاب

اسم المؤلف

إشراف عام

تاريخ النشر

رقم الإيداع

الترقيم الدولي

الناشر

المركز الرئيسي

مركز التوزيع

إدارة النشر

تحرير مضامين المصطلحات

منذ صك الإعلام الغربي مصطلح «العولمة» وأحله محل مصطلح «النظام العالمى الجديد»- عقب انهيار الاتحاد السوفيتى ، والمنظومة الشيوعية سنة ١٩٩١م- وهناك خلط - فى دوائرنا الفكرية والإعلامية- بين مصطلح «العولمة» ومصطلح «العالمية» .. وهو خلط يزيّف المضامين ، ويخلط الأوراق التى لايجوز فيها الاختلاط .. بل ويحول دون الحوار الجاد حول مفاهيم ومقاصد القضايا التى تعبر عنها هذه المصطلحات .. الأمر الذى يستوجب البدء بتحرير وتحديد مضامين مصطلحي «العالمية» و «العولمة» على وجه الخصوص ..

مفهوم العالمية:

فالعالمية نزعة إنسانية وتوجه نحو التفاعل بين الحضارات ، والتلاقح بين الثقافات ، والمقارنة بين الأنساق الفكرية ، والتعاون والتساند والتكامل والتعارف بين الأمم والشعوب والدول ، ترى العالم «منتدى حضارات» ، بينها مساحات كبيرة من «المشترك الإنسانى العام» ولكل منها «هوية ثقافية تتميز بها» ، ومصالح وطنية وقومية وحضارية واقتصادية وأمنية لا بد من مراعاتها ، فى إطار «توازن المصالح» ، وليس «توازن القوى» بين هذه الأمم والحضارات ..

وإذا كانت عين الفاحص لا تخطئ التمايز الحضارى ، فى هذا المنتدى العالمى ، عندما ترى الخصوصيات الحضارية لكل من الصين والهند واليابان والغرب والإسلام - وغيرها من الحضارات - فإن عقل الباحث لا يخطئ أيضا تمييز بعض هذه الحضارات «بالمحلية» - مثل الهند والصين واليابان - بينما تميزت وتتميز كل من الحضارات الإسلامية والحضارة الغربية بصلاحيه التمدد العالمى ، وإمكانات العطاء خارج الحدود الجغرافية التاريخية لشعوب هاتين الحضارتين .. تميزت بذلك النزوع العالمى الحضارة الأوروبية الغربية ، منذ ظهورها الإغريقى - الرومانى .. وتميزت به الحضارة الإسلامية منذ أن خرجت من بين دفتى القرآن الكريم .. فمن القرآن الكريم ولدت مقومات الأمة الإسلامية الواحدة ، وخرجت الصيغة الإسلامية حضارة هذه الأمة ، وجاءت عالميتها كثمرة من ثمرات عالمية الرسالة الإسلامية والشريعة الإسلامية ، التى شاء الله ، سبحانه وتعالى ، أن يختم بها شرائع السماء إلى الإنسان .. ولهذه الحكمة جاء الحديث القرآنى عن هذه العالمية منذ العهد المكى للرسالة والدعوة ﴿ وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكرٌ للعالمين ﴾ - يوسف : ١٠٤ - ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ - الأنبياء : ١٠٧ - ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ - الفرقان : ١ - .. فكانت هذه الأمة الإسلامية وحضارتها دائمة التحقق حيثما امتدت تعاليم الإسلام وقيمته وثقافته ، على امتداد الزمان والمكان ..

لكن هذه العالمية الإسلامية لاتعنى - فى الرؤية الإسلامية - انفراد الحضارة الإسلامية بالعالم ، وإلغاءها للآخر الحضارى . . بل إنها تعنى التفاعل والتدافع والتسابق مع الآخر ، فى ظل التأكيد على أن التعددية الحضارية والتنوع الثقافى والاختلاف فى الشعوب والأمم والقبائل.. وفى الألوان والأجناس والأعراق.. وفى الألسنة واللغات ومن ثم القوميات وفى الشرائع والملل الدينية.. وفى المناهج والمذاهب والثقافات والحضارات.. أن كل هذا التنوع والاختلاف هو القاعدة الطبيعية، والقانون التكوينى، والسنة الإلهية التى لا تبدل لها ولا تحويل . . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ - الحجرات : ١٣ - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ أَلْسِنَتَكُمْ وَأَلْوَانَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ - الروم : ٢٢ - ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ - هود : ١١٨ ، ١١٩ - ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ - المائدة :

١١٨ - ١١٩ .

فالناس سعيهم شتى ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ - الليل : ٤ - ﴿ وَلِكُلِّ

وجهة هو مؤليها فاستبقوا الخيرات ﴿البقرة: ١٤٨-١٤٩﴾ و«التدافع»
والحرك والتسابق هو سبيل راب الصدع وتعديل الخلل وإعادة
الميزان - الوسط .. العدل - إلى العلاقات بين الطبقات أو الأمم
أو الحضارات ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم﴾ - فصلت: ٣٤ - .. وليس «الصراع» ، الذي
يصرع فيه وبه طرف الأطراف الأخرى ، فينفرد هذا الطرف
بالساحة والثمرات والامتيازات ، منهيا التعدد والتنوع
والاختلاف .. ﴿صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ (٧) فهل ترى
لهم من باقية ﴿الحاقة: ٧، ٨-٩﴾ ..

ذلك هو المفهوم الإسلامى للعالمية : نزوع عالمى، يرى التعدد
والتنوع والاختلاف القاعدة والقانون، ويؤمن أن التفاعل هو الوسط
العدل بين «العزلة» وبين «التبعية»، فتصبح الصورة الحضارية للعالم هى
صورة «متدى الحضارات» ..

ولقد تميز هذا المفهوم الإسلامى للعالمية عن المفهوم الغربى
للعالمية ، ليس فقط فى حقبتنا الراهنة - حقبة العولمة - وإنما منذ
فجر الحضارة الأوربية الغربية .. «فالنزعة المركزية» لصيقة
بالنموذج الحضارى الغربى ، منذ العصر الرومانى ، الذى رأى
أصحابه أن الإنسان هو الرومانى الحر وحده ، ومن عداه برابرة ، وأن
مايتدين به الرومان هو الدين الوحيد ، وما عداه واجب
الاستئصال .. ولقد طبقوا هذه النزعة الواحدة المركزية فى عصر

وثنتيهم بإبادة النصارى ، بعد تشريد اليهود ، وفى عهد نصرانيتهم باضطهاد المذاهب النصرانية المخالفة لمذهبهم الممكثانى ، وامتد ذلك فيما عرف « بالحروب الدينية » بين مذاهب النصرانية - الكاثوليكية والبروتستانتية - التى امتدت منذ منتصف القرن السادس عشر وحتى العقود الأخيرة من القرن السابع عشر [١٥٦٢ - ١٦٨٨م] ، أى حتى عصر «التنوير» ، والتى أبيد فيها نحو عشرة ملايين ، أى ٤٠٪ من سكان وسط أوروبا^(١) !!

ثم واصلت هذه «النزعة المركزية» الغربية صراعها مع الآخر طوال عصر استعمار الغرب للأمم والبلاد والحضارات غير الغربية ، وتم هذا الصراع والاستئصال على مختلف الصعد والميادين والجبهات - على الجبهة الفكرية ، بإبادةبنى التحتية للموارث الفكرية لحضارات الشعوب المستعمرة - وعلى الجبهة القيمية ، باختراق منظومة القيم الخاصة بالشعوب المستعمرة^(٢) - وعلى الجبهة الثقافية بتغريب المستعمرات - وعلى الجبهة اللغوية ، بفرنسة أو جلنزة ألسنة الشعوب المستعمرة - وعلى الجبهة الدينية ، بتنصير العالم بالنصرانية الغربية - وعلى الجبهة الاقتصادية ، بالنهب الاقتصادي الاستعماري ، الذى بنى رفاهية الغرب بالفائض الذى تحقق من إفقار الأمم والشعوب المستعمرة - وعلى الجبهة الأمنية ، بتحويل العالم إلى هامش للأمن الأوربي

(١) هاشم صالح «التنوير الأوربي ردة فعل للاقتتال المذهبي» - صحيفة (الشرق الأوسط) - لندن - فى ٢٦-٢- سنة ٢٠٠٠ م .

(٢) الجيرنى [مظهر التقديس بزوال دولة الفرتيس] ص ٣١٠ ، ٣١١ تحقيق : حسن محمد جوهر ، عمر الدسوقي ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م .

والغربي ، وتسخير الشعوب المستعمرة وإمكاناتها وقوداً في الحروب الاستعمارية ، كما كان الرومان والفرس يصنعون - قديماً - مع الغساسنة والمناذرة ، في النظام العالمي القديم ! ..

ذلك هو المفهوم الغربي «العالمية» حضارته الأوروبية .. مفهوم الواحدية الحضارية ، الذي يرى أن الحضارة الغربية هي وحدها العالمية والإنسانية - بل هي وحدها «الحضارة» ! - التي يجب أن تكون النموذج الوحيد للتحضر والتقدم .. والقلب الأوحده الذي يجب أن يصب فيه العالم جميعاً ..

بل لقد رأى الغرب - ولا يزال يرى - أن الصراع والصدام هو الخيار الرئيسي في تحقيق هذه الواحدية الحضارية .. وذلك بسبب «الصبغة الصراعية» التي تماهت في بنية تكوين الحضارة الغربية ، والتي أفصح عنها - ثم بررت لها - النظريات الرئيسية التي صبغت فلسفة الأنوار الوضعية الأوروبية وفكر الحداثة الغربية وثقافتها ..

● ففلسفة القوة والصراع والنفعية المتحللة من الأخلاق ، هي جوهر فلسفة السياسة الميكيا فيلية - كما صاغها ميكيا فيلي [١٤٦٩ - ١٥٢٧م] في كتاب [الأمير] ..

● وفلسفة التاريخ عند هيجل [١٧٧٠ - ١٨٣١م] تقيم علاقات العصور على الصراع ، الذي يتسخ فيه الحديد القديم ..

● والداروينية - كما صاغها داروين [١٨٠٩ - ١٨٨٢م] في [أصل الأنواع] - تجعل الصراع هو قانون التقدم والتطور في عالم الأحياء ، فالبقاء للأصلح ، والأقوى هو الأصلح للبقاء .. ونستخه للآخرين - الضعفاء - هو القانون ! ..

● وكذلك الحال في الفكر الاجتماعي ، والعلاقات بين الطبقات - عند ماركس [١٨١٧ - ١٨٨٣م] وغيره - وهو تطبيق للفلسفة الصراعية الداروينية والهيكلية في الاجتماع - . فالجديد يستأصل القديم ، والطبقة الجنينية يتم غوها على حساب فناء الطبقة السائدة . . و «العبودية» قد نسخت المشاعية البدائية . . ثم جاء الإقطاع فنسخ العبودية . . ثم جاءت الرأسمالية فنسخت الإقطاع . . ولقد بشرت الماركسية بنسخ الشيوعية وديكتاتورية البروليتاريا للبرالية الرأسمالية . . وكأننا شعار هذه «الفلسفة الصراعية» - التي صيغت الحضارة الغربية - هو : ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ - الأعراف : ٢٨ - . . وأبادتها ! . .

● وهذه النزعة المركزية الاستثنائية ، هي التي جعلت حتى مفهوم «الإنسان» - في الحضارة الغربية - هو الإنسان الغربي وحده! . . ثم جعلت هذا الإنسان الغربي - في عصر الاستعمار - يمارس استئصال الآخر - الحضارى والثقافى - براحة عجيبة للضمير ، هي أشبه ماتكون بموت الضمير : لأنه يمارس ذلك الاستئصال «كرسالة» ، وكإعمال للقانون العلمى والطبيعى - الذى يحكم عالم الأحياء والاجتماع - فى عالم الحضارات والثقافات . . فاستئصال الشعوب - بالاستعمار الاستيطانى - فى أفريقيا وفلسطين - هو تمدن وتحضر لهذه البلاد! . . وتنصير المسلمين هو تحقيق «الخلاص» لأرواح هؤلاء الكفار المحرومين! . . وإزالة الموارث الحضارية للشعوب غير الأوربية ، هو تحرير لها من التخلف والرجعية والبدائية والجمود! . .

ومفهوم العولمة

وإذا كان هذا هو مفهوم «العالمية» - في الرؤية الإسلامية .. وفي الرؤية الغربية - فما هو الجديد المفاهيمي الذي يطرحه مصطلح «العولمة» ، الذي طرأ على الساحة الفكرية منذ سنوات ؟ ..

إن الجديد في هذه العولمة الغربية - عن «العالمية الغربية» - هو جديد في الدرجة ، وليس في «النوع» .. فنحن أمام تصاعد في درجة النزعة المركزية الغربية .. وتصاعد في حدة التطبيق الغربي لهذه النزعة المركزية .. وأسباب هذا الجديد - جديد العولمة - هو التطورات الموضوعية الجديدة التي طرأت على العالم ، ومن ثم على علاقة النظام الغربي بالعالم غير الغربي ..

لقد مر الغرب في علاقات أمة ودولة القومية بعضها ببعض الآخر - منذ عصر التنوير - بمراحل عدة : مرحلة الحروب الدينية .. ومرحلة الحروب القومية .. ثم جاءت مرحلة الحروب الاستعمارية .. ثم شهدت العقود الأولى للقرن العشرين ذلك «الانشقاق الاجتماعي» بين الشمولية الشيوعية وبين الليبرالية الرأسمالية ، في قلب النموذج الحضاري الغربي .. ولقد شغل هذا الانشقاق والانشقاق الاجتماعي واستنفذ الكثير من الطاقات الصراعية لقوى النظم الغربية .. وانضم إليهما - نحو ربع قرن - صراع هذين القطبين مع الفاشية والنازية - .. وفي ظل هذه

«الفرصة التاريخية» تمت حركات التحرر الوطني في البلاد المستعمرة ، واستفادت الدول التي حققت استقلالها السياسي عقب الحرب الاستعمارية العالمية الثانية من هامش الحرية الذي أتاحه لها الصراع الداخلي بين شقي الحضارة الغربية ، فحققت - بعد الاستقلال السياسي - مقادير متفاوتة من التنمية الثقافية والاقتصادية والعسكرية ..

صحيح أن التغريب كان تياراً ضاعطاً على خيارات هذه الدول والشعوب .. لكن التناقض الرئيسي في جسم الحضارة الغربية قد أتاح لشعوبنا مقادير من حرية الاختيار ، في إطار هذا التغريب ، الذي مثل يومئذ «غواية الترغيب والترهيب» .. لقد كان غواية ، تستخدم أساليب الترغيب والترهيب .. لكن ظلت لنا معها مقادير لا بأس بها من حرية الاختيار ..

فلما حدث وسقط النموذج الشمولي الماركسي في مطلع العقد الأخير من القرن العشرين - وتوحدت قبضة الحضارة الغربية كمال تتوحد من قبل منذ عصر التنوير الأوربي .. وتزامن ذلك مع ما اقتضاه الرعب والردع النووي ، من ضبط الغرب لتناقضاته الداخلية والاقتصادية عند حدود وسقف انصراف غير العنيف .. واقرنت هذه اللحظة التاريخية بثورة متسارعة وغير مسبوقه في تقنيات وسائل الاتصال ، في الفكر والثقافة والإعلام .. وفي المال والاقتصاد - كان ذلك الصعود الجديد لنزعة المركزية الغربية من طور العالمية ، بمفهومها الغربي ، الذي أشرنا إلى خصائصه إلى طور

«العولمة الغربية» ، التي أرادت وتريد إلغاء «هامش الاختيار» الذي كانت تتمتع به الشعوب والأمم والحضارات غير الغربية، وإحلال مرحلة «الاجتياح» محل مرحلة «غواية الترغيب والترهيب» .

فالعولمة الغربية، هي طور جديد على طريق النزعة المركزية الغربية والعالمية، بمفهومها الغربي.. إنها طور الاجتياح الذي يطمع في صب العالم داخل القالب الغربي على مختلف الصُّعد والميادين: الاقتصادية.. والسياسية.. والثقافية.. والعسكرية.. وانتشيرية.. الخ.. الخ..

إنها مرحلة «انطوفان الغربي» الذي هو في الدعاوى الغربية نهاية التاريخ.. ومن ثم يركب في سفينة النموذج الحضاري الغربي طوعاً، فخطوط الصراع والإكراه معه وضده تحدد لها خطوط الثقافات والحضارات!..^(٣)

وإذا كان «واقع» هذا الاجتياح العولمي الغربي، هو الشاهد على صدق هذا التحليل والتوصيف.. فإن في مصطلح «العولمة» شاهداً ودليلاً، أيضاً..

فالعالمية -حتى بمفهومها الغربي- ونظراً لملايسات التناقضات التي صاحبته، لم تكن تحرمنا من هامش الاختيار.. أما هذه العولمة، التي مثلت وتمثل طور وحدة القبضة الغربية، وفورة

(٣) انظر: د. محمد عمارة الحضارات العالمة، ندفع ثم صراع! - سلسلة «فكر التنوير الإسلامي» صبعة نهضة مصر القاهرة سنة ١٩٩٨ م. وأمحاط العولمة على الهوية الثقافية، نفس السلسلة - والثامن - صبعة القاهرة سنة ١٩٩٩ م.

التقنيات التى جعلت وتجعل العالم أشبه ما يكون بالقرية الكونية ،
 مما يودى إلى تصاعد مخاطر الاختلالات فى موازين القوى على
 الأمم والحضارات المستضعفة . . أما هذه العولمة ، فإن مصطلحها
 - حتى المصطلح - ينبئ هو الآخر عن هذا الجديد الذى تتمثله . .
 فالصيغة الصرفية «فُوْعَلَه» . . غالباً ما تعنى الدمج الخطط والقسرى
 فى قالب واحد ، ونفى التنوع والتعدد والاختلاف . . نفهم ذلك -وقد
 عرفناه وعانيناه- عندما اكتوت شعوبنا «بالفرنسة» و «الجلنزة» ،
 و «الروسنة» ، و «الأمركة» و «الأسرلة» . . الخ . . فهى - أى العولمة -
 مرحلة الإجتياح الغربى - وخاصة الأمريكى - لصب العالم فى قالب
 النزعة المركزية الغربية ، على نحو غير مسبوق ، ودرجة لم يسبق لها
 مثيل ، بفعل المستجدات الجديدة ، فى بنية الحضارة الغربية - بتزايد
 «فرعونيتها» و «قارونيتها» . . وبضبط تناقضاتها- . . وبفعل مستجدات
 عالم التقنيات وسلطان المعلومات . .

ذلك من تحرير وتحديد مفاهيم المصطلحات . .



أبعاد العولمة وميادينها

ولأن العولمة هي الاجتياح الغربى - برعامة أمريكية - لصب العالم فى قالب الحضارة المهيمنة . . فإن هذا الاجتياح الطوفانى لا يترك ميداناً من الميادين إلا ويريد أن يطاله ويحتويه . . وخاصة إذا وجد فيه «فراغاً» يعزى بالاحتواء . .

● **ففى الاقتصاد:** هناك عولمة الخلل الفاحش : الذى تمثله الليبرالية الرأسمالية المتوحشة ، بين الشمال والجنوب - والذى بلغ - فى الظلم الإجتماعى - أفقا غير مسبوق . .

● **فأبناء حضارة الشمال - الذين بنوا رفاهية مجتمعاتهم الغربية على فائض النهب الاستعمارى العالمى . . والذين يمثلون اليوم ٢٠٪ من سكان المعمورة - يملكون ويستهلكون ٨٦٪ من الإنتاج العالمى . . حتى أن ٢٢٥ فرداً منهم يملكون ما يوازى ملكية ٢.٥ ملياراً من أبناء الجنوب - أى قرابة نصف البشرية - ! . . بل إن ثلاثة أفراد فى أمريكا تبلغ ثروتهم مثل ثروة ٤٨ دولة من أعضاء الأمم المتحدة - أى نحو ثلث أعضاء المنظمة العالمية - ! . .**

● **ومثل هذا الخلل الجنونى فى الملكية ، نجده فى الإنفاق . . ف :**
٧٨٠ بليوناً من الدولارات هى حجم الإنفاق «العالمى» على التسليح وأدوات الدمار . .

و ٤٠٠ بليوناً من الدولارات هى حجم الإنفاق «العالمى» على المخدرات . .

و ١٠٥ بليوناً من الدولارات تنفق على الخمر والكحوليات في أوروبا وحدها . .

و ٦٧ بليوناً من الدولارات تنفق على القطة والكلاب المنزلية في أوروبا وأمريكا وحدهما ! . .

أى أن مجموع ما ينفق على هذا السفه والدمار يبلغ ١,٤٤٢ بليوناً من الدولارات . . بينما مجموع الإنفاق العالمى على كل من الصحة والتعليم والغذاء لا يتجاوز ١٩ بليوناً - للتعليم ستة بلايين . . وللغذاء والصحة ثلاثة عشر بليوناً - !! . .

الأمر الذى يجعل هذا الاقتصاد «العالمى» الذى يريدون تحويله . بإزالة الحدود احمائية للاقتصادات والصناعات والتجارات الوطنية ندون الجنوب . مقبرة لاقتصاداتنا ، ومأتما للرشد الاقتصادى ، نأهيك عن العدالة الاجتماعية ! . .

● وإذا كانت أولى نتائج هذا الخلل الفاحش - الذى يجعل ٢٠٪ من أبناء الشمال يستهلكون ٨٦٪ من الإنتاج العالمى ، بينما يعيش ٨٠٪ من البشر على ١٤٪ من الإنتاج العالمى - . . إذا كانت أولى نتائج هذا الخلل هى انعدام القدرة الشرائية لأغلبية البشرية . . فلقد دفع ذلك رؤوس الأموال العالمية - التى لاهم لها سوى اللهات وراء تعظيم الأرباح - إلى التوجه نحو الميادين الطفقيلية . بدلا من الميادين الإنتاجية والخدمية . . فغير تجارات اغذرات - وغسيل الأموال القذرة - وشبكات تجارة الدعارة - فى النساء والفتيات والغلمان . . والتى أصبحت - فى بعض البلاد -

من المصادر الأساسية «للدخل القومي»!، وتكاد «العمالة» فيها تفوق العمالة في الصناعات الإنتاجية الأساسية :- .. غير هذه الميادين المدمرة لإنسانية الإنسان ، توجهت أغلبية رؤوس الأموال العالمية - ١٠٠ تريليون دولار - أي ٩٧٪ من حجم الأموال السائلة - إلى السمسرة والمضاربات .. بينما الموظف في الإنتاج والتجارة هو ٣,٥ تريليون دولار ، فقط لا غير ! ..

● وعلى حين ارتفع حجم التجارة السلعية العالمية من ٢٥ تريليون دولار سنة ١٩٩٠م إلى ٣٨ تريليون دولار سنة ١٩٩٨م .. فإن حجم التجارة في الأوراق المالية - أي المضاربات غير المنتجة - بل والمدمرة - قد ارتفع في ذات المدة من ١٥ تريليون دولار إلى ١٨٠ تريليون - والتريليون هو بليون بليون - أي أن هذه التجارة المدمرة والطفيلية قد بلغت ، في ظل العوثة ١٨٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار ! ..

● وبسبب من الحجم الدينامي لصناعة السلاح وتجارته ، في هذا الاقتصاد «العالمي» فلقد بلغ حجم العقول العلمية الموظفة في صناعة السلاح والدمار - بشكل مباشر أو غير مباشر - ٩٠٪ من عقول علماء العالم ! ..

● وإذا كانت ديون «العالم الثالث» - أي ٨٠٪ من البشرية - قد بلغت سنة ١٩٩٧م ١,٩٥٠ ملياراً من الدولارات .. تقطع فوائدها - مجرد الفوائد - أربعة أضعاف ما تنفقه دول «العالم الثالث» على الصحة والتعليم مجتمعين .. فإن صورة هذه المأساة

لا تفهم إلا إذا علمنا أن الشركات متعددة الجنسيات ومتعددة القارات - التي نعولم هذا الأقتصاد «العالمى» - تقترض الدولارات من «وال ستريت» - حى المال والأعمال فى أمريكا - بفائدة قدرها ٦٪ ثم تقترض هذه الدولارات لبلاد الجنوب بفائدة تتراوح ما بين ٢٠٪ و ٥٠٪!!^(٤) . الأمر الذى جعل استدانة - الجنوب من الشمال - تبلغ حد تمويل الجنوب للشمال، لا العكس، وتنمية الجنوب للشمال، بدلا من العكس . فقرض قصير الأجل لمصر ، بلغت قيمته أربعة ملايين دولار ، أصبحت قيمته الإجمالية - مع القوائد - عند اكتمال سداده ٢٢ مليونا !! .

والمعونات الأمريكية لمصر ، خلال الفترة من سنة ١٩٧٥م إلى سنة ١٩٨٣م ، قد بلغت حوالى ٨,٥ مليارا من الدولارات ، وتم إنفاقها على ثلاثة برامج أساسية هى : ١ - الاستيراد السلعى ٢ - والمشروعات ٣ - وفائض الحاصلات الزراعية . فكانت نتيجتها الحقيقية : فائدة أمريكا ، لا مصر . فاستعاد البرنامج الأول والثالث ٥٧,٢٪ من إجمالى المعونات ، صبت فى صالح السوق الأمريكى - إنتاجا وتشغيلا - فتم دعم الصناعة الأمريكية - (البرنامج السلعى) ب ٣٣,١٪ من حجم المعونة - وتم دعم

(٤) انظر هذه الحقائق والأرقام فى «تقرير التنمية البشرية» - الصادر عن الأمم المتحدة سنة ١٩٩٨م - و (الأهرام) - القاهرة - مقالات : صلاح الدين حافظ - فى ١٦ - ٩ - ١٩٩٨م - و د محمود عبد الفضيل - فى ١٥ - ٦ - ١٩٩٨م - والسيد يس - فى ٢١ - ١ - ١٩٩٩م . وكتاب إمغزى القرن العشرين للدكتور أحمد شوقى - طبعة المكتبة الأكاديمية - القاهرة سنة ١٩٩٩م

المزارعين الأمريكيان - (برنامج فائض الحاصلات الزراعية) بـ ٢٤,١٪ من حجم المعونة - . . وأخذ «الخبراء» الأمريكيان مابقي من المعونة . . ففى تطوير «ميناء الأديبة» - بالسويس - ضمن (برنامج المشاريع) - بلغت أجور «الخبراء» الأمريكيان ١٣ مليوناً من الدولارات - أى ٦٥٪ من إجمالى تكلفة المشروع! - وأجر «الخبير» الأمريكى بمصر هو أربعة أضعاف أجره فى وطنه أمريكيا!! - كما بلغت تكاليف الدراسة الأمريكية لمشروع الصرف الصحى بالإسكندرية ٥٧٪ من جملة القروض الأمريكى الموجه للمشروع!! . .

وذلك فضلاً عن : قصر المعونات على المشروعات غير الإنتاجية ، وبالذات تلك التى تخدم تطبيع العلاقات مع إسرائيل والثى تخدم تحديد النسل - إذ بلغت نسبتها إلى معونات قطاع الصحة ٥١,١٪!! . . .

فهى لاتقف فقط عند «إماتة» الإنتاج الحقيقى والتنمية الحقيقية . . وإنما ينطبق عليها المثل القائل : «صوت . . . وخراب ديار»! . . ومع كل هذا الخراب ، فإن هذه الديون ترهن إرادة الأمة لدى صانع القرار الأمريكى ، وتحول الاستقلال الوطنى إلى مجرد «علم . . . وشيئ»! . . .

تلك هى «المقصلة الاقتصادية» ، التى يريدون عولمتها! . . .

(٥) محمد صلاح الدين - صحفية (المدينة) - السعودية - فى ١٧ مايو سنة ١٩٩٦م - وهو بحث عن دراسته ماجستير حول «المعونة الأمريكية لمصر» للباحثة دينا حلال - كلية اقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة .

● والعولمة السياسية :

وغير البعد الاقتصادي للعولمة . . هناك البعد السياسي ، الذى يهيمش دور المنظمات الدولية لحساب تعظيم الهيمنة العالمية لمؤسسات الدولة الأمريكية . . «مجلس الأمن القومى الأمريكى» يكاد أن يحل محل «مجلس الأمن الدولى»! . . وقضايا وشئون العالم الإسلامى قد عُهدَ بها إلى «لوى» يهودى أمريكى^(٦) . . والسيادة الوطنية لحكومات الدول القطرية والقومية - تلك التى أكدتها المواثيق الدولية - تتأكل لحساب التدخل الأمريكى والأطلسي ، ولحساب تعظيم سيادة العولمة الأمريكية على حساب السيادة الوطنية والقومية لدول الجنوب . . وفى انتقاص هذه السيادة الوطنية للدول تستغل «أوراق» الأقليات النصرانية والقومية فى العالم الإسلامى ، وتُبلور وتُموّل شرائع من غلاة العلمانيين المتغربين فى بلادنا للتبشير بهذه الاتجاهات ، حتى ليكتب كاتب نصرانى فى صحيفة يسارية مجاهراً بتأييده للتدخل الأمريكى «الدولى» فى شئون مصر الداخلية ، يدعو « أن المطالبة بممارسة ضغوط دولية على الدول من أجل المحافظة على حقوق مواطنيها واحترام المواثيق الدولية هو أمر مشروع تماماً داخلياً وخارجياً . . ولا عجب فى هذا ، فنحن نعيش فى عصر الدولة - ناقصة السيادة ، وهذا أحد أهم أوجه ظاهرة الكونية . . »^(٧) !! . .

(٦) مجلة (المجتمع) - الكويت - ص ٣٠ ، ٣١ «اليهود يحكمون الولايات المتحدة ٦٠ وزيراً يهودياً فى الإدارة الأمريكية و ٢٣ سفيراً ودبلوماسياً» - تحت ولايتهم مسئوليات الشرق الأوسط وقضايا الصراع العربى الصهيونى - عدد ١٢٢٣ فى ١٩٩٩/١/٥ م

(٧) مجدى حليل «مصر وأمريكا : أقباط مصر خارج هذه اللعبة» - صحيفة (الأهالى) - القاهرة - فى ٢ / ٧ / ١٩٩٧ م -

بل ويدافع عن هذا التفريط العجيب في السيادة الوطنية - سيادتنا نحن فقط ، وليست سيادة قوى الهيمنة ، التي احترقت وتحترق العنصرية واضطهاد الأمم والشعوب! - يدافع عن هذا التفريط ، ويُتَظَرُّ له «التقرير الاستراتيجي العربي» ، الذي تصدره - بتمويل أجنبي ! - «مؤسسة الأهرام» .. في مصر- والذي يشرف على إصداره «مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية» - بالمؤسسة- والخاضع لتوجيهات «تطبيع» العلاقات مع إسرائيل ، والرضى بالتسوية الأمريكية للصراع العربي - الصهيوني^(٨) ! ..

هكذا تتحول «السياسة الأمريكية» إلى «السياسة العالمية» .. ويصبح لعولمة السياسة ، وانتقاص السيادة ، والتدخل في شئوننا الداخلية ، دعاة وكتاب ودراسات وأدبيات ! ..

● والعولمة التشريعية:

ويدعم هذه العولمة السياسية ، ويقنن لها ، «عولمة تشريعية» يمارسها الكونجرس الأمريكي ، الذي لم تعد تشريعاته وقفا عند حدوده الوطنية - كما هو شأن كل برلمانات الدنيا .. وأصل اختصاصاتها - وإنما أخذ - هذا الكونجرس - يشرع للعالم بأسره .. فيصدر القوانين التي تصنف الدول إلى : دول سافلة ، وأخرى طيبة! .. ودول إرهابية ، وأخرى مسالمة! .. ودول مُحاصرة ، وأخرى غير مُحاصرة! ..

(٨) انظر في نقد توجهات «التقرير الاستراتيجي العربي» أعمال ندوة مركز البحوث والدراسات السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة في ٥ - ٤ مارس سنة ٢٠٠٠م - وهي خاصة بمناقشة هذا التقرير - وكذلك مقالات : محمد سيد أحمد ، وبيل زكي ، ومحمد فرج - صحيفة (الأهالي) - القاهرة - في ٨ / ٣ / ٢٠٠٠

ودول يجوز فيها الاستثمار ، وأخرى تفرض عليها المقاطعة! .. ودول تضطهد الأقليات الدينية ، فتستحق العقاب الأمريكي والعالمي ، ودول بريئة من هذا الاتهام! .. ودول يستحق إنسانها التمتع بحقوق الإنسان ، ومنها حق تقرير المصير ، حتى ولو كان تعدادها أقل من مليون- في «تيمور الشرقية»- وأخرى لا يستحق إنسانها شيئاً من ذلك ، حتى ولو بلغ تعدادها عشرات الملايين- كما هو الحال في كشمير والفلبين وبورما والبوسنة وكوسوفا وفلسطين! ..

ومثل ذلك الحال مع حق الإنسان في أن يحكم بالقانون الذي يريد .. فعولة العلمانية اللادينية ، واستخدام «أوراق» الأقليات غير المسلمة في فرضها على الأغلبية المسلمة هو «شرعة العولة» .. بينما اختيار الشعوب المسلمة الاحتكام إلى شريعتها الإسلامية هو «التطرف المحذور» والأصولية المزدولة» التي تبرر التدخل الخارجي في شئون تلك الشعوب! ..

بل وتصل هذه «العولة التشريعية» إلى حد إصدار القوانين الأمريكية ، واعتماد الميزانيات العلنية لتغيير نظم الحكم التي لا ترضى عنها العولة الأمريكية! .. مثل إصدار الكونجرس الأمريكي «لقانون تحرير العراق»! .. أي قلب نظام الحكم في بلد عضو بالأمم المتحدة! ..

● والعولة العسكرية:

وغير هذه العولة الاقتصادية .. والسياسية .. والتشريعية .. هناك «العولة العسكرية» ، التي تفرض كل ألوان وأبعاد العولة على من تحدثه نفسه بالتمرد أو العصيان .. فمن لم تردعه التحذيرات .. والعقوبات .. تردعه الصواريخ والمقاتلات! ..

وإذا كان شاذاً- بكل المقاييس- أن تأتي الطائرات الأمريكية والبريطانية عبر القارات ومن وراء المحيطات لتضرب شعب العراق ومنشأته «بحجة الدفاع عن النفس» - نفس الذين وطنهم وراء القارات والمحيطات!!- فإن هذا الشذوذ يتم تقنيه وعولته : عندما تجتمع دول حلف الأطلسي في عيده الخمسيني - بأمريكا- في إبريل سنة ١٩٩٩ م ..

فهذا الحلف الذي تكون في إبريل سنة ١٩٤٩م- في ظل النظام العالمي ثنائي القطبية- قد نص ميثاقه على أن مهامه خاصة بالدفاع عن «أرض الدول المشتركة فيه» .. لكن العولمة العسكرية قد غيرت مهام هذا الحلف وطورتها ، فجعلتها «الدفاع عن «مصالح» وليس فقط «أرض» الدول المشتركة فيه» .. فامتدت الذراع العسكرية للعولمة الغربية - تحت القيادة الأمريكية- إلى حيث يريدون .. وأصبحت «مبررات» من مثل «الأصولية الإسلامية» و «التطرف» و «اضطهاد الأقليات المسيحية» و «أسلحة الدمار الشامل» و «برامج التسليح النووي»- والتي جعلتها العولمة من خصائص الدول العربية والإسلامية دون غيرها من الدول- أصبحت هذه «المبررات» أبواباً مشرعة للتدخل العسكري العولمي في شؤون الدول المنمردة على بيت الطاعة الأمريكي ! ..

● و عولمة القيم الغربية :

وإذا كانت العولمة العسكرية هي أداة «التأييد» للعولمة الاقتصادية والسياسية والتشريعية .. فإن عولمة القيم والثقافة هي

سبيل «التأبيد» لذويان الحضارات غير الغربية في النموذج الحضارى الغربى . . فاحتلال العقل كان دائماً وأبداً السبيل لتأبيد احتلال الأرض ونهب الثروة ، دوماً حاجة إلى نفقات القواعد العسكرية وتكاليف الجيوش ! . .

وإذا نحن شئنا أن نضرب الأمثال - فى إشارات موجزة- على نماذج لعونة منظومة القيم الغربية ، والثقافة الغربية . ونمط الحياة الأمريكى . من خلال صياغة هذه المنظومة القيمة فى موثيق يتم عولمتها باسم الأمم المتحدة . وعبر مؤتمرات «دولية» تعقد تحت علم المنظمة الدولية . . فإن فى وثيقة «برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية» ، الذى عقد بالقاهرة ٥-١٥ سبتمبر سنة ١٩٩٤م - تكفى - هذه الوثيقة- وزيادة!- لتجسيد معنى عونة القيم الغربية ، وفرضها على مختلف الأمم والشعوب والدول والحضارات والمعتقدات والثقافات . .

● فالأسرة قيمة من القيم الإسلامية - بل والإنسانية- وعلى صلاحها يبنى صلاح الأمة والاجتماع ، والحفاظ عليها فطرة إنسانية فطر الله عليها الفطر السوية . . ولهذا الأسرة مفهيم إسلامى يقيمها على الزواج الشرعى الذى يحقق الاختصاص بين ذكر وأنثى ، تنضم بعد ذلك البنين والبنات والخفدة ، فى ظل علاقات وواجبات وحقوق الأبوة والأمومة- والبنوة ، وفق منظومة من القيم الإسلامية جعلت وتجعل هذه «المؤسسة- الأسرة» واحة السكن والسكينة والمودة والرحمة ، المحكومة بالميثاق الغليظ . سيناق الفطرة التى فطر الله الناس عليها . .

تكن وثيقة مؤثر السكان تسعى لعولة التحلل والتفكك الأسرى ،
الذى نخر وينخر فى عظام المجتمعات الغربية- التى عزفت عن
«الزواج» واستبدلته «بالرفقة» . . . والتى أصبح ٤٠٪ من طفولتها
تولد خارج الأسر الشرعية ، أى عن طريق الزنا ، و ٥٠٪ من هؤلاء
الأطفال يعيشون خارج الأسر الشرعية - أى مع «رفيق» الأم ، أو
«رفيقة» الأب - . . . والتى يهدد الانقراض العديد من شعوبها بعد
عدة عقود . . . وتهدد الشيخوخة الكثير من هذه الشعوب بعد عدة
سنوات . . . تسعى وثيقة مؤثر السكان لعولة منظومة القيم الغربية
المدمرة للأسرة ، فتدعو - صراحة - و «بالحاح الحكومات والمنظمات
الحكومية الدولية، والمنظمات غير الحكومية المعنية، ووكالات
التصويل، والمؤسسات البحثية إلى إعطاء أولوية للبحوث الحيوية
المتعلقة بتغيير الهياكل الأسرية . . .»^(٩١)

ولا تدع هذه الوثيقة أمر «تغيير الهياكل الأسرية» للظنون والاجتهادات... وإنما تتحدث عن «اقتران» لا يقوم على «الزواج» - وهو ما يشيع في العلاقات المحرمة دينياً بين رجلين، أو امرأتين عند الشواذ - بل وتتجاوز «إباحة» ذلك إلى ترتيب «الحقوق» لهذه الأنواع من «الأسرة» : فتقول : «وينبغي القضاء على أشكال التمييز في السياسات المتعلقة.. بالزواج وأشكال الاقتران الأخرى...» !

(٩) مشروع برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية - القاهرة في ٥ - ١٥ سبتمبر سنة ١٩٩٤م - الترجمة العربية الرسمية - الفصل الثاني عشر - الفترة ٢٤ - طبعة سنة ١٩٩٤م .

وتدخل في عداد الأسرة ، ذات الحقوق : «الأعداد الكبيرة من الأفراد غير المتزوجين والناشطين جنسيا . .»! (١٠)

فتحن أمام عوالة مفهوم «للأسرة» لا يقف بها عند حدود «الزواج» و «الأزواج» ، بل يدخل فيها كل الأفراد الناشطين جنسياً ، ومن كل الأعمار . . وهو مفهوم غربي ، أصبح متعارفاً عليه في الغرب ، فتبنته برلمانات ، بل وتبنته كنائس ، واقترنا من أن نقرأ له «لا هوئا - لا دينيا»! . .

● وإذا كان الإسلام قد سن سنة «المساواة» بين الإناث والذكور ، في الخلق والتكريم والتكليف والحساب والجزاء . مع الحرص على توزيع للعمل يحافظ على فطرة التمايز بين الذكورة والأنوثة ، فجعل هذه المساواة هي «مساواة الشقين المتكاملين» وليس «التندين المتماثلين» حفاظاً على دواعي الاقتران والشوق والسعادة لتنوع الإنساني . . فإن وثيقة مؤتمر السكان تسعى إلى انقلاب في علاقات المرأة بالرجل . . فبدلاً من تبني مصطلح «المساواة» تتحدث عن «تصكين المرأة»! . . وبدلاً من توزيع العمل بين الرجال والنساء وفق فطرة وطبيعة الذكورة والأنوثة - وهي التي أشار إليها حديث رسول الله ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . . فالرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم . والمرأة راعية في بيت يعولها وولده ، وهي مسئولة عنهم . . ألا فكلكم راع وكلكم

(١٠) المصدر السابق الفصل الخامس . آتقرة . ٥ ، والفصل الثاني . المبدأ ٧ . والفصل

السابع . الفقرات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١

مستول عن رعيته» - رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد - . . بدلا من هذا التوزيع الفطرى للعمل بين النساء والرجال ، تدعو الوثيقة إلى دمج الرجل فى المنزل ، ودمج المرأة فى المجتمع دمجاً كاملاً ، فتقول : «ويتعين على الحكومات وائزعماء الوطنيين والمجتمعيين أن يشجعوا مشاركة الرجل الكاملة فى تنظيم الأسرة وتربية الأطفال والعمل المنزلى .. وتمكين المرأة واستقلالها وإدماجها بشكل تام فى الحياة المجتمعية . .» (١١).

● وإذا كانت العفة قيمة من القيم الإسلامية - بل والإنسانية - وإذا كان الإحصان بالزواج الشرعى هو السبيل لتحويل الغرائز الجنسية والأشواق العاطفية إلى حياة بناء وراقية فى المجتمع النسوى . . فإن وثيقة مؤتمر السكان تتحدث عن «المتعة الجنسية المأمونة والمسئولة» ، وليس عن «المتعة الجنسية الشرعية والمشروعة وأحلال» . . فمصطلح «الصحة الجنسية» - الذى هو أكثر المصطلحات تكراراً فى هذه الوثيقة! - يعنى : «تكامل الجوانب الجسدية والعاطفية والعقلية والاجتماعية للوجود الجنسى . بأساليب إثرائية تبرز الشخصية وتقوى التفاهم والحب ، وفق نهج إيجابى تجاه النشاط الجنسى البشرى» (١٢).

مع اعتبار هذا النشاط الجنسى البشرى حقاً طبيعياً وإنسانياً عاماً من حقوق الجسد . كالغذاء . وغير مقصور على المتزوجين زواجا

(١١) المصدر السابق . الفصل الرابع . الفقرات : ١١ ، ٢٦ .

(١٢) المصدر السابق . الفصل السابع . الفقرة ١٠ .

شرعياً . . فهو - بنص الوثيقة - : «حق لجميع الأزواج والأفراد - [لاحظ، الأفراد] - سواء كان امرأة أو رجلاً أو مراهقاً أو مراهقة . . وينبغي أن تسعى جميع البلدان إلى توفير هذه الحقوق لجميع الأفراد، من جميع الأعمار، في أسرع وقت ممكن، وفي موعد لا يتجاوز عام ٢٠١٥»^(١٣) .

أى والله! . . هذا هو نص الوثيقة ، يستنفر العالم لتوفير حقوق الإباحية الجنسية لكل الناشطين جنسياً ، من كل الأعمار ، في أسرع وقت ممكن . وفي موعد لا يتجاوز سنة ٢٠١٥ م . . حتى ليظن المرء ، وهو يقرأ هذا الاستنفار ، أن العفة قد غدت التهديد الأخطر للسلام العالمى ! . .

ولهذه «القيم» الغربية ، تحدثت الوثيقة عن «السلوك الجنسي المسئول» ، ولبس عن «السلوك الجنسي الشرعى» أو «الحلال» «وذلك من أجل الوقاية من الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية . . فالهدف هو تشجيع - [لاحظ «تشجيع»] - التطوير المناسب للنشاط الجنسي المسئول بما يسمح بوجود علاقات المساواة والاحترام المتبادل، بين الجنسين ويسهم في تحسين نوعية حياة الأفراد . .»^(١٤)

فالمنفعة الجنسية عالية المستوى ، هى حق للجميع ، بشرط أن تكون الممارسة الجنسية مسئولة . وقائمة على التراضى والاحترام . تحسيناً لنوعية حياة الأفراد ! . .

(١٣) المصدر السابق . الفصل السابع الفقرات : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

(١٤) المصدر السابق . الفصل الثامن الفقرات : ٣٥ ، ٣٦ . والفصل السابع الفقرات

■ وإذا كان الإحصان ، بالزواج المبكر ، هو ما يحافظ على قيمة العفة ، وييسر الاستمتاع الشرعى والحلال بالعلاقات العاطفية والجنسية بين الأزواج .. فإن وثيقة مؤتمر السكان تسعى لعملة منظومة القيم الغربية ، التى غدت تحرم وتحرم الزواج المبكر ، وتدعو إلى اعتماد «البدائل» التى تصرف عن هذا الزواج المبكر .. «فإنه هدف هو الحيلولة دون حدوث الزيجات المبكرة.. وعلى الحكومات أن تزيد السن الأدنى عند الزواج حيثما اقتضى الأمر.. ولا سيما باتاحة بدائل تغنى عن الزواج المبكر» .^(١٥)

وفى ذات الوقت تتيح الزنا كبديل لهذا الزواج المبكر! .. فلقد أفردت هذه الوثيقة حيزاً كبيراً - وملفتاً للنظر- للحديث عن حقوق المراهقين والمراهقات الناشطين جنسياً فى المعاشرات الجنسية ، بل وفى الحمل ، والإجهاض الآمن ، وتنظيم الأسرة .. «فالهدف هو الوفاء بالاحتياجات الخاصة بالمراهقين والشباب وخاصة الشابات .. والخدمات عالية الجودة فى مجال الرعاية الصحية والجنسية والتناسلية.. كيما يتعاملوا مع نشاطهم الجنسى بطريقة إيجابية ومسئولة.. وحماية وتعريب حقوق المراهقين فى التربية والمعلومات والرعاية المتصلة بالصحة الجنسية والتناسلية.. وأن تخفض عدد حالات حمل المراهقات تخفيضاً كبيراً .. فالمراهقون الناشطون جنسياً يحتاجون نوعاً خاصاً من المعلومات والمشورة والخدمات فيما يتعلق بتنظيم الأسرة .. كما أن المراهقات اللاتى يحملن يحتجن إلى

(١٥) المصدر السابق: الفصل السادس: الفقرة ٧ وانفصل الرابع: الفقرة ٢١.

دعم خاص من أسرهن ومجتمعهن المحلي خلال فترة الحمل ورعاية الطفولة المبكرة.. ولذلك، يتعين على البرامج إشراك وتدريب كل من يتسنى لهم توفير التوجيه للمراهقين فيما يتعلق بالسلوك الجنسي والتناسلي المسئول، وبخاصة الأيوين، والأسر، وأيضا المجتمعات المحلية، والمؤسسات الدينية، ووسائل الإعلام، وجماعات الأقران.. وينبغي أن تعمل الحكومات على محاربة التمييز ضد الحوامل والشابات..»^(١٦).

أى والله!.. تدعو وثيقة مؤتمر السكان إلى استنفار الدنيا، بما فى ذلك المؤسسات الدينية!- لتوفير «حقوق» الزنا للمراهقين والمراهقات، وكذلك حقوق الحمل والإجهاض الآمن وتنظيم الأسرة.. بعد حمايتهم من «الزواج المبكر»!..



ذلكم هو نموذج عوالة قيم التفكك الأسرى، والانحلال الجنسى- الغربية- وفرضها على العالم، باسم الأمم المتحدة، ومن خلال وثيقة المؤتمر الدولى للسكان والتنمية.. هذه الوثيقة التى ربطت بين عوالة القيم وعوالة الاقتصاد.. فقالت: «.. ويؤكد المؤتمر الدولى للسكان والتنمية من جديد الحاجة إلى إدماج البلاد ذات الاقتصاديات التى تمر بمرحلة انتقال - أى التى كانت اشتراكية]- فضلا عن جميع البلدان الأخرى فى الاقتصاد العالمى دمجا كاملا..»^(١٧).

(١٦) المصدر السابق . الفصل السادس . الفقرة ٧ : ١١ . والفصل السابع . الفقرات : ٢ :

٩٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤١ . والفصل الحادى عشر . الفقرة ٨ .

(١٧) المصدر السابق . الفصل الثانى . المبدأ : ٦ .

وإذا كانت بعض البلاد - وخاصة الإسلامية - قد تحفظت على بعض فقرات هذه الوثيقة - التزاما بقيمها الإسلامية ، واستجابة للحملة الإسلامية التي قادها الأزهر الشريف ضد الإباحية التي شاعت فيها - فإن الصياغة الحبيثة لهذه الوثيقة قد أجهضت هذه التحفظات عندما جعلت «حقوق السيادة لكل أمة» محكومة «بالمعايير الدولية لحقوق الإنسان» - والتي هي المعايير الغربية ، التي تجعل الحرية الجنسية الطوعية والمسئولة من حقوق هذا الإنسان . كما يشهد الفكر والتطبيق في الواقع الذي نعيش فيه!! . . . وبذلك ، غدت الوثيقة ملزمة للجميع ، بما في ذلك الدول التي تحفظت على بعض فقراتها . . . وتوالت في نصوصها العبارات التي تقول - مثلاً - : «ينبغي للحكومات :

(أ) أن تلتزم على أعلى مستوى سياسى بتحقيق الغايات والأهداف الواردة في برنامج العمل .

(ب) وأن تقوم بدور قيادى فى تنسيق أعمال المتابعة ورصدها وتقييمها .

- وينبغي إعمال الضمانات وآليات التعاون الدولية لكفالة تنفيذ هذه التدابير .

- وإن وضع وتنفيذ السياسات السكانية حق سيادى لكل أمة ، يتمشى مع القوانين الوطنية ، ويمثل للمعايير الدولية لحقوق الإنسان^(١٨) . . . فسيادة الأمة ، وقوانينها الوطنية ، لا بد أن تمثل .

(١٨) المصدر السابق: الفصل السادس عشر: الفقرة: ٧ . والفصل الرابع: الفقرة: ٩ .

وفصل الثامن: المبدأ: ٦ . وانظر في جميع ذلك كتابنا: صراع القيم بين العرب

والإسلام . سلسلة في التوير الإسلامى ، طبعة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٧ م

في النهاية ، للمعايير الغربية حقوق الإنسان .. ومنها هذه الحقوق ، التي قررتها هذه الوثيقة ، في الإباحية والتفكك الأسري والانحلال ..

ويشهد على حقيقة هذا «الإلزام» : أن بلداً مثل مصر - التي عقدت في عاصمتها هذا المؤتمر - كانت في مقدمة البلاد الإسلامية التي تحفظت على العديد من فقرات وثيقته .. ومع ذلك ، وجدنا تقرير الجمعيات النسائية المصرية ، التي شاركت في مؤتمر المرأة العربية - بعمان : الأردن - فبراير سنة ٢٠٠٠م - يتحدث عن «جهود الجمعيات الأهلية المصرية لتنفيذ مقررات بكين» .. ويعترف هذا التقرير بأن أنشطة هذه الجمعيات قد انصبت على التنفيذ لوثيقة مؤتمر السكان سنة ١٩٩٤م ووثيقة مؤتمر بكين - الخاص بالمرأة سنة ١٩٩٥م - .. وأن صدور القانون المصري الجديد للأحوال الشخصية - يناير سنة ٢٠٠٠م - وتكوين «المجلس القومي للمرأة» - فبراير سنة ٢٠٠٠م - هما استجابة لوثائق تلك المؤتمرات!!^(١٩) -

ولعل في ذلك التفسير لعدم ورود كلمة «الأسرة» - مجرد الكلمة - في أهداف المجلس الأحده عشر ، ولا في لجانه الإحدى عشرة!! .. ومع ذلك فهو مجلس قومي للمرأة ، في بلد مسلم . ينص دستوره على أن الإسلام هو دين الدولة .. وأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع والقانون .. وبدلاً من ذلك ، تحدثت وثائق تكوين المجلس عن دمج المرأة في التنمية

(١٩) صحيفة (الأهرام) القاهرة- ص ١٣ في ١٢ / ٢ سنة ٢٠٠٠م «رسالة عمان»

للمصحفة بعبارة مختار .

الاجتماعية ، فتفصح عن أن وثائق العولمة القيمية هي المرجعية ، وليست المنظومة القيمية للإسلام! ..

بل إن الذين تابعوا - بوعى - احتفالات الجمعيات النسائية في العالم الإسلامي بيوم المرأة العالمى - فى ٨ مارس سنة ٢٠٠٠م - سيجدون أن جميع هذه الأنشطة والاحتفالات قد تمت تحت شعار «تصكين المرأة، ودمجها فى التنمية الإجتماعية» - وهى الصيغة التى صكها مؤتمر القاهرة ، ومؤتمر بكين! ..

فوثائق هذين المؤتمرين قد غدت المرجعية ، رغم نصوص الدساتير والقوانين فى بلاد الإسلام .. ورغم تحفظات الحكومات الإسلامية على بعض ما جاء فى هذه الوثائق من فقرات! .. بل إن قوانيننا تعدل ، أو تجرى المطالبات بتعديلها ، لتتنسق مع ما جاء فى هذه الوثائق من قيم وأهداف! .. ذلك أن وثيقة مؤتمر السكان قد جعلت «المعايير الدولية لحقوق الإنسان» - وهى غربية فى الأساس - المرجعية التى يجب أن «تمثل» لها «سيادة الأمم وقوانينها الوطنية» .. فغدت عولمة القيم الغربية المرجعية التى توضع الآن فى الممارسة والتطبيق! ..

● وعولمة الثقافة الحديثة:

وإذا كان الإسلام يعتمد للتطور والتقدم - فى الفكر والثقافة - منهاج التجديد - الذى يستصحب الثوابت الإسلامية ، ويجدد فى المتغيرات وفقه الواقع وفقه الأحكام والنظم والمؤسسات ، على النحو الذى يجعل ثقافة الأمة إسلامية دائماً وأبداً ، عبر الزمان

والمكان ، ويجعلها كذلك متطورة ومواكبة لكل المستجدات . .
حتى لقد جعل الإسلام من هذا المنهاج التجديدي سنة من سنن
الفكر لا تبديل لها ولا تحويل ، فقال رسول الله ، ﷺ : « يبعث
الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها »
رواه أبو داود - . .

إذا كان هذا هو منهاج الإسلام - في الفكر والثقافة - فإن العولمة
الأمريكية تعولم وتعمم وتفرض ثقافة « الحداثة الغربية » ، التي
أقامت وتقيم « قطيعة معرفية » مع الموروث ، ومع « الموروث الديني »
على وجه الخصوص . . فمنذ عصر التنوير الغربي - الوضعي
والعلماني والمادي - أقامت ثقافة الحداثة قطيعة مع الله والغيب
والدين ، عندما تحورت حول الإنسان ، بدلا من الله ، وعندما
جعلت هذا الإنسان « طبيعياً » ، بدلا من أن يكون « ربانياً » ، نفخ
الله فيه من روحه ، واتخذ خليفته عنه للنهوض برسالة العمران . .

ولقد كشف علماؤنا هذه النزعة « اللادينية - الدهرية » في ثقافة
الحداثة الغربية منذ فجر يقظتنا الحديثة والاحتكاك مع هذه الحداثة
الوافدة على بلادنا في ركاب الاستعمار . . فعبد الرحمن الجبرتي
[١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ (١٧٥٤ - ١٨٢٢ م)] عندما احتك بفكر الحداثة
الوافد مع بونابرت [١٧٦٩ - ١٨٢١ م] والحملة الفرنسية على مصر
[١٢١٣ - ١٢١٦ هـ (١٧٩٨ - ١٨٠١ م)] لم يرف في هؤلاء الفرنسيين
نصارى كتابيين ، ذوى ثقافة نصرانية ، وإنما اكتشف حقيقة فلسفتهم
الوضعية العلمانية اللادينية ، التي أقامت قطيعة معرفية مع مطلق

الإيمان الدينى . . فكتب - بعمق وعبقريّة - معلقاً على دعاوى بونايرت أنّه «مخلص هو والفرنساوية للإسلام، ومحترم نبي الإسلام» فقال: «إنّ إسلامهم نصب.. فلقد خالفوا النصاري والمسلمين، ولم يتمسكوا من الأديان بدين، وهم ذهريّة مُغلطون، وللمعاد والخشر منكرون، وللنبوة والرسالة جاحدون . .» (٢٠) .

وكذلك رفاعة الطهطاوى [١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ ١٨٠١ - ١٨٧٣ م] - الذى خبير ثقافة الحداثة الأوربية فى باريس - فلقد كتب عن جمهور أهل باريس وأغليبتهم ، الذين «ليس لهم من دين النصرانية إلا الاسم فقط.. فهم إباحيون، يقولون إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب، ولذلك لا يصدقون بشيء مما فى كتب أهل الكتاب، يخرجون عن الأمور الطبيعيّة.. ولهم فى الفلسفة حسّوات ضلاليّة مخافتة لسانر الكتب السماوية.. وإن كانت بلادهم من أحكم بلاد الدنيا وديار العلوم البرانيّة.. علوم التمدن المدني..» .

ثم صاغ الطهطاوى هذه المعادلة - ثقافة القطيعة مع الله والغيب والدين . . والبراعة فى العلوم الدينيّة - شعراً قال فيه :

أبوجد مثل باريس ديار . . شمس العلم فيها لا تغيب
ونيل الكفر ليس له صباح . . أما هذا وحققكم عجيب! (٢١)

أما جمال الدين الأفغانى [١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م]

(٢٠) أمّظير النقديس برّوال دولة الفرنسيس! ص ٣٤

(٢١) الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى [ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦٠] دراسة وتحقيق: محمد عمارة

طبعة بيروت سنة ١٩٧٣ هـ .

فقد أفاض في الحديث عن «دهرية» هذه الثقافة الحداثية التنويرية الأوروبية ، التي أحيا فلاسفة تنويرها - وخاصة «فولتير» [١٧٣٤ - ١٧٧٨م] و «روسو» [١٧١٢ - ١٧٧٨م] - دهرية «أبيقور» الكلبى [٣٤١ - ٢٧٠ ق . م] ، الأمر الذى جعل الثورة الفرنسية وبالاعلى الثقافة الفرنسية المتواصلة مع النصرانية . . فبعد أن كان الشعب الفرنسى ، مشرقا لتمدن فى سائر الممالك الغربية .. ظهر فيهم وولتير وروسو ، يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بإنارة الأفكار وهداية العقول ، فنبشأ قبر أببيقور الكلبى ، وأحييا مايس من عظام الدهريين ، ونبذا كل تكليف دينى ، وغرسا بذور الإباحية والإسترائد ، وزعمان أن الاداب الإلهية جعليات خرافية ، كما زعم أن الأديان مخترعات أحدثها نقص العقل الإنسانى ، وجهر كلاهما بإنكار الألوهية ، ورفع كل عقيرته بالتشنيع على الأنبياء - [برأهم الله مما قالوا] . وكثيرا ما ألف وولتير من الكتب فى تخطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح فى أنسابهم وعيب ما جاء وأبه ، فأخذت هذه الأباطيل من نفوس الفرنساويين ، ونالت من عقولهم ، فنبذوا الديانة العيسوية ونقضوا منها أيديهم . وبعد أن أغلقوا أبوابها افتحوا على أنفسهم أبواب الشريعة المقدسة (فى زعمهم) شريعة الطبيعة . . [١٢٢] .

وعندما قامت فى بلادنا - بواسطة المثقفين الموازنة . . الذين صيغت عقولهم وثقافتهم فى مدارس الإرساليات الفرنسية -

(٢٢) الأعمال الكاملة جمال الدين الافغانى ص ١٦١ ، ١٦٢ دراسة وتحقيق د. محمد

عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م

مؤسسات ثقافية وصحف ومجلات احترفت التبشير بشقافة
الحدائث الغربية - وفي مقدمتها مجلة «المقتطف» [١٢٩٣ - ١٣٧١
هـ ١٨٨٩ - ١٩٥٢ م] التي أخذت تسرب هذه الحدائث اللادينية
تحت لافتات «العلم» و«النظريات العلمية» : كشف عبدالله النديم
[١٢٦١ - ١٣١٣ هـ ١٨٤٥ - ١٨٩٦] الطابع الإلخادى لهذه الثقافة
الحدائثية ، وتحدث عن هذا الغريق من كتاب «المقتطف» واصفاً
إياهم بأنهم «أعداء الله وأنبيائه.. والأجراء الذين أنشئوا لهم جريدة
جعلوها خزانة لترجمة كلام من لم يدينوا بدين، ممن ينسبون
معجزات الأنبياء إلى الظواهر الطبيعية والتراكيب الكيماوية،
ويرجعون بالمكونات إلى المادة والطبيعة، منكرين وجود الإله الخالق.
وقد ستروا هذه الأباضيل تحت اسم فصول علمية، وماهى إلا معاول
يهدمون بها عموم الأديان ..» [٢٣].

هكذا تمتع علماء الأمة بهذا العمق ونفاذ الرؤية ، فميزوا بين
نهضة الغرب فى العلوم الطبيعية وتطبيقاتها ، وبين وضعيية
ولادينية ثقافته الحدائثية .. وهو عمق ونفاذ رؤية افتقر إليهما الذين
انخدعوا بهذه الحدائث من مثقفينا المتغربين ! ..

ولا يحسن أحد أن هذا الذى تحدث عنه أئمة يقظتنا من قيام
القضيعة المعرفية بين ثقافة الحدائث الغربية وبين الدين هو نأى بمارى

(٢٣) مجلة (الأسناد) - القاهرة - العدد التاسع والثلاثون . ص ٩٢٣ - ٩٢٤ - فى ٧
ذى القعدة سنة ١٣١٠ هـ مايو سنة ١٨٩٣ م .

فيه الغربيون - كما يمارى فيه بعض المتغربين! - . فهذه القطيعة هي من المسلمات التى يعترف بها ويعلنها دعاة هذه الحداثة ، عندما يقولون : «إن أيديولوجيا التنوير قد فصلت بن عصرين من الروح البشرية: عصر الخلاصة اللاهوتية، وعصر الموسوعة لفلاسفة التنوير.. ومنذ الآن فصاعدا راح الأمل بمملكة الله ينزاح لى يخلى المكان لتقدم عصر العقل وهيمنته. وهكذا راح نظام النعمة الإلهية ينمحي ويتلاشى أمام نظام الطبيعة.. لقد أصبح الإنسان وحده مقياساً للإنسان . .»! (٢٤)

بل إن الاعتراف الحداثى بهذه القطيعة مع الله والدين ليبلغ حد الاستفزاز لأى لون من ألوان الإيمان بأى دين من الأديان ، عندما يعترف أحد الحداثيين هذه الحداثة عند واحد من أبرز دعائتها المعاصرين - د . محمد أركون- فيقول عنها : «إنها القووى بمرجعية العقل وحاكميته.. وإحلال سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة مكان أميريالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون . .»! (٢٥)

-
- (٢٤) هاشم صالح - محلة (الوحدة) - المغرب - عدد فبراير - مارس ١٩٩٣م - ص ٢٠ ، ٢١ - وهو يتقل عن كتاب : إميل بولا [الحرية ، العلمنة : حرب شطرى فرنسا ومبدأ الحداثة] منشورات سيرف - باريس سنة ١٩٨٧م - . وأنظر كتابنا (الإسلام بين التنوير والتزوير) طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥ م .
- (٢٥) د . على حرب مسيرة التقدم والحداثة بين أنصاف زيتون وأشجار أركون - مقال فى صحيفة (الحياة) - لندن - فى ١٨ / ١١ / ١٩٩٦ م -

ثقافة الحداثة - باعتراف أهلها . . ورؤية علمائنا لحقيقتها - هي ثقافة القطيعة مع الله والغيب والدين . . ثقافة الدنيا والدينية ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ - الجاثية : ٢٤ ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴿ الروم : ٦٧ - . . ثقافة الإنسان «الطبيعي» الحيواني» ، لثقافة الإنسان الرياني ، الخليفة لله . . ثقافة عبادة الطبيعة والدنيا ، بدلا من عبادة الله . .

وهذا العقل الذي ألهمته وعبدته هذه الثقافة الحداثية ، عندما انتقلت به من «التسبية» إلى «الإطلاق» ، قائلة : «إنه لا سلطان على العقل إلا للعقل» ! . . هو غير العقل والعقلانية في الثقافة الإسلامية المؤمنة ، ذلك الذي لاغنى عنه كملكة من ملكات الإنسان ، ونعمة من نعم الله على هذا الإنسان ، والجوهر الذي تميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات ، ومناط التكليف الإنساني . . لكنه ليس وحده السبيل إلى المعرفة ، وإنما يزامن في هذه المهمة ويتآزر ويتآخى مع الوحي والتجربة والوجدان ، لإفراز الثقافة المتوازنة . . وفي مقابل التأليه الحداثي للعقل ، نجد الرؤية الإسلامية التي صورها حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ م ١١١١م] عند ما قال : فمثال العقل : البصر السليم من الآفات والأداء . ومثال القرآن : الشمس المنتشرة الضياء . فأخلق أن يكون

طالب الاهتمام، المستغنى بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء. فالمعرض عن العقل، مكتفياً بنور القرآن، مثاله المعرض لنور الشمس مغمضاً لأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور...» (٢٦).

وإذا كان الاستعمار الغربي، في مرحلة الغزو المسلح، قد حاول فرض هذه الثقافة الخداثية علينا بحد السيف، و«بحق الفتح!»، فدعى الفرنسيون - في شمال إفريقيا - إلى «الفصل بين الإسلام والاستعرا ب» - لإحلال الفرنسية محل العربية - وإلى «فصل الدين عن القانون المدني... وحصر الإسلام في الاعتقاد وحده... ندمج العرف في القانون الفرنسي بدلاً من القانون الإسلامي... لإنشاء نظام للعدلية في اتجاه فرنسي خالص... وإحداث التمدن خارج دائرة الإسلام...» (٢٧).

فإن هذا الغرض لثقافة الخدائفة، والقطيعة مع الإسلام، هو ما تسعى إليه العولة الغربية هذه الأيام... لا بواسطة الفتح المسلح - كما كان الحال إبان الاستعمار التقليدي - وإنما بواسطة شرائع الغلو العلماني في بلادنا، تلك التي صنعها الاستعمار على عينه، ويمول مراكز «أبحاثها» غويلاً علينا ومباشراً... ومن خلال تحالف هذا الغلو العلماني مع شرائع من الأقليات التي دفعته وتدفعتها الخدائفة والعلمانية إلى الولاء والاحتساء بالغرب، بدلاً من الولاء للهوية الإسلامية لشقاقتنا الوطنية والقومية... فيدعو هذا التحالف إلى الانقلاب على هوية المجتمع، بإلغاء مواد الدستور التي تحدد الهوية

(٢٦) الاقتصاد في الاعتقاد، ص ٢، ٣ - طبعة مكتبة صبح - القاهرة - بدون تاريخ .

(٢٧) د. محمد عمارة الإسلام والتعددية: التنوع والاختلاف في إطار الوحدة.

ص ٢٧٦ - ٢٧٨ - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٧ م .

الإسلامية لدين المجتمع وقيمه وثقافته وقانونه - كما هو حادث في مصر الآن- . . . وتسير المظاهرات ، وتريق الدماء لوقف إسلامية الثقافة القانونية - كما حدث في نيجيريا - مارس سنة ٢٠٠٠ م - . . .

تلك هي ثقافة الحداثة ، التي بدأ الغرب تعميمها ، بالترغيب والترهيب ، منذ قرنين من الزمان . . . والتي تعولها ، بالاجتياح ، ثورة وسائل الاتصال التي نعيش في ظلها هذه الأيام . . .

● والعولمة اللغوية:

ومع عولمة القيم الغربية . . . وثقافة الحداثة ، تتم - أيضا - عولمة اللغات الغربية ، لتزيح اللغات الوطنية والقومية عن عروشها ! . . .

وإذا كانت «الفرنسية» و «الجلنزة» و «الروسنة» قد بدأت مع الاستعمار الغربي الحديث ، ولا زالت بصماتها السوداء باقية في ثقافتنا وإعلامنا ولغة خطابنا وشركاتنا ولافتات متاجرنا فضلا عن مدارسنا وجامعاتنا . . . فإن العولمة الاقتصادية ، التي تحولنا إلى «عمالة» في الشركات الغربية عابرة انقازات والجنسيات ، وإلى مستوردين وموزعين و«مستهلكين» لمنتجات تلك الشركات ، ستفرض علينا - بحكم العمل والاستهلاك - إحلال لغات تلك الشركات وأسماء سلعها محل لغاتنا الوطنية والقومية . . . حتى تصبح بلادنا «سوبر ماركت» لا علاقة لما فيه بلغاتنا ، بما في ذلك العربية ، لسان الإسلام ، ولغة القرآن الكريم ! . . .

● والعولمة الدينية:

وغير العولمة للاقتصاد ، والسياسة ، والتشريع ، والعسكرية ، والقيم ، والثقافة . . . واللغات . . . هناك عولمة الدين ، بتنصير المسلمين ، طموحا إلى إلغاء أمتنا وحضارتنا ، وطي صفحة الإسلام من سجل الوجود ! . . .

وإذا كان الوعد الإلهي قد جعل ويجعل هذا الهدف المجنون مستحيلا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - اخبر: ٩ - .. فيجب أن نفرق بين «حفظ» الدين ، وبين «إقامة» الدين .. قاله ، سبحانه وتعالى ، قد وعد بحفظ القرآن - ديوان الدين الإسلامي - لكن إقامة هذا الدين هي تكليفنا نحن ومهمتنا نحن .. وهذا هو الذي يتعرض لامتحان العولة على جبهة التنصير ..

وإذا كانت الأرثوذكسية السلافية الغربية تمارس هذه المهمة ، غير المقدسة ، عن طريق الإبادة ، والتطهير «العرقى - الدينى» ، والمقابر الجماعية التى تدفن فيها المسلمين - من البلقان إلى القوقاز- .. فإن الكنيسة الكاثوليكية الغربية قد أعلنت الحرب لتتصر المسلمين - بدلا من تنصير بيتها الأوربي ، الذى انحدر إلى الإخاد واللا أدريه - فرفعت شعار : «إفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠م» .. فلما خيب الله آمالها ، لم ترعوى ، وإنما زحزحت التاريخ إلى سنة ٢٠٢٥م ! .. وهى لاتستحي من الحديث عن «التحدى الإسلامى» و «الفتح الإسلامى لأوروبا» فيقول مساعد بابا الفاتيكان ، ومسنوؤ المجلس الفاتيكاني للثقافة الكاردينال «بول يوبار» - فى حديثه لصحيفه «الفيجارو» الفرنسية : «إن الإسلام يشكل تحديا بالنسبة لأوروبا ، ولغرب عسوما . وإن التحدى الذى يشكله الإسلام يكمن فى أنه دين ، وثقافة ، ومجتمع ، وأسلوب حياة وتفكير وتصرف ، فى حين أن المسيحيين فى أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة أمام المجتمع ، ويتناسون الصيام الذى يفرضه عليهم دينهم ، وفى الوقت نفسه ينجرون بصيام المسلمين فى شهر رمضان !» (٢٨)

أما البروتستانتية الغربية ، فإن بروتوكولات قساوسة التنصير فيها

(٢٨) صحيفة (الشرق الأوسط) - لندن - فى ١ - ١٠ - سنة ١٩٩٩م

تبلورت في مؤتمر «كولورادو» - بأمريكا - مايو سنة ١٩٧٨م - تلك التي تقول : «إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية - والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا.. ونحن بحاجة إلى منات المراكز، للتركيز على الإسلام، لفهمه، ولاختراقه في صدق ودهاء!..» (٢٩).

ومع التخطيط لاختراق الإسلام وثقافته ، بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية .. ومن خلال العمالة المذنية الأجنبية .. تعلن البروتستانتية - بلا حياء .. ولا أخلاق - أن صناعة الكوارث في العالم الإسلامي هي السبيل إلى تحويل المسلمين عن الإسلام إلى النصرانية .. فيقولون : «لكن يكون هنالك تحول إلى النصرانية فلابد من وجود أزمات تدفع الناس خارج حالة التوازن التي اعتادوها، إن تقديم العون لذوى الحاجة قد أصبح أمرا مهما في عملية التنصير. وإن إحدى معجزات عصرنا، أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التي كانت تناهض العمل التنصيري، فأصبحت أكثر تقبلا للنصارى!..» (٣٠).

هكذا تتم العولمة - والاجتياح - على كل الجبهات .. ومختلف الميادين .. من الاقتصاد والسياسة، إلى القيم والثقافة ، وحتى الدين .. مروراً بالعسكرية .. والتشريعات .. واللغات ! ..

(٢٩) | التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي - الترجمة العربية لوثائق مؤتمر كولورادو - ص ٧٥٢ - طبعة مركز دراسات العالم الإسلامي - عتفا سنة ١٩٩١م

- ونظر كتابنا الغزوة الجذبة على الإسلام ص ٨٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م

(٣٠) | التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي ص ٢٤٢ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧

والآن: ما العمل؟

إن عظم المخاطر ، وشراسة التحديات ، لاتعنى أن الصورة قائمة ، ولا أننا أمام طريق مسدود . . ونقطة البداية- فى مخاطر العولمة . . ومواجهتها والتعامل معها- هو أن تعى قوى اليقظة والأصالة - الوطنية . . والقومية . . والإسلامية- فى عالم الإسلام حقائق الموقف ، دوغما تهوين ولا تهويل ، وأن تحدد نقاط قوتها ، والفرص المتاحة أمامها فى مواجهة هذه التحديات . . أى أن تعى حقائق وقوى وتضاريس الموقف الداخلى والخارجى على السواء . .

● فالغرب ، الذى تأتى منه أعاصير العولمة ، ليس كتلة واحدة مصمتة ولا صماء . . وإنما يجب أن نميز فيه بين «الإنسان» الغربى . . و«العلم» الغربى . . و«المشروع» الغربى . . فالإنسان الغربى لا مشكلة لنا معه ، بل قد يكون هذا الإنسان ضحية «لصناعة الصورة» فى مارد الإعلام المتحيز . ضد قضايانا العادلة ، ومن ثم فهو بالنسبة لقضايانا يمثل إمكانية صداقة ومعاونة . . بل إن هذا الإنسان يفتح عقله وقلبه حتى لإسلامنا إذا نحن أحسننا خطابه ، وعرضنا عليه بضاعتنا بمنطق العقل والعدل والمصلحة . . وفى قضية العولمة ، قد يكتشف هذا الإنسان الغربى أنه هو نفسه -معنا- ضحية لمخاطر التوحش الرأسمالى الذى تهددنا عولته ! . .

وكذلك العلم الغربى . . ليست بيننا وبينه مشكلة . . بل إنه -بالنسبة لنا- هو الحكمة المنشودة التى هى ضالتنا ، والتى يجب أن

تسعى إليها أئى وجدناها، فنحن الأحق بها.. فهو سلاح من أمضى أسلحة قوتنا، التى بدونها لن نستطيع مواجهة مايتهددنا من مخاطر وتحديات..

أما مشكلتنا مع العولمة الغربية فهى مع «المشروع الغربى»، والأمريكى بالدرجة الأولى، و«قفازه» الصهيونى على أرض فلسطين.. فعلىنا أن نشير بين غرب وغرب، وأن نستعين على «المشروع» الغربى- وبإذات جوانبه المعادية- بما فى الغرب من إمكانيات وطاقات يمكن الاستفادة منها، والاستعانة بها، أو على الأقل تعييدها.. ولنتذكر تلك السنة الحميدة لمشروعاتنا النهضة وحركات تحررنا الوطنى- إبان الاستعمار التقليدى- عندما كانت قوانا الحية والقائدة تتحالف مع قوى العدل والحرية فى الغرب، أو تحسن الاستفادة من التناقضات الغربية.. صنع ذلك محمد على باشا [١١٨٤- ١٢٦٥ هـ ١٧٧٠ - ١٨٤٩م] وجمال الدين الأفغانى [١٢٥٤- ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] وتنظيم «العروة الوثقى».. ومصطفى كامل باشا [١٢٩١ - ١٣٢٦ هـ ١٨٧٤ - ١٩٠٨م] وحزبه الوطنى.. وكذلك كل العقلاء عندما يخوضون المواجهات مع التحديات.. ولقد كانت لنا تجربة، فى مواجهة عولمة القيم، عندما تحالفنا مع الكنيسة الكاثوليكية ضد سلبيات وثيقة مؤتمر السكان والتنمية سنة ١٩٩٤م.. وعندما وجدنا أنفسنا فى خندق واحد مع مئات منظمات المجتمع المدنى الغربية ضد العولمة ومنظمة التجارة العالمية فى مدينة «سياتل»-الأمريكية- فى نوفمبر سنة ١٩٩٩م- تلك المنظمات التى هتفت مظاهراتنا: نريد تجارة عادلة، لا جرة!..

فكانت عوناً لمندوبى دول الجنوب فى مؤتمر «سياتل» وسبباً حال بين قوى العولمة وبين تحقيق ماتريد . .

● كذلك، على قوى اليقظة والأصالة فى عالم الإسلام، أن تميز فى مكونات ظاهرة العولمة بين التقنيات التى تحول العالم إلى قرية واحدة، والتى هى بالنسبة لنا، فرض متاحة للتطور والتقدم، والتعلم، إذا نحن أحسنّا استخدامها وتوظيفها، وحمّلناها بالمضامين المتسقة مع هويتنا وقيمنا الإسلامية.. علينا أن نميز بين هذه التقنيات وبين العولمة كأيديولوجية تشرع وتبرر وتكرس لهيمنة الغرب والشمال على العالم بأسره.. وأيضاً، أن نميز بين هذه التقنيات وبين المصانح الغربية غير المشروعة، التى تسعى إليها شركات الغرب العابرة للثقارات من وراء العولمة . .

إن تحول العالم ، بتقنيات ثورة الاتصال ، إلى قرية عالمية ، هو حقيقة وواقع . . ولكن أيديولوجية هيمنة العولمة الغربية لا تجعل بيوت هذه القرية وسكانها سواء ؛ لأن أيديولوجية العولمة تريد السيادة «لتوازن القوى» - وهو مختل خلافاً فاحشاً - بدلاً من «توازن المصانح» والثقافات والحضارات ، الذى يحقق «العالمية الإنسانية» - بدلاً من «العولمة الغربية».. فنحن نريد «القرية العالمية» التى يسودها هذا التوازن فى المصانح، والتفاعل فى الثقافات.. ونرفض «القرية المعولمة» التى فيها القاتل والمقتول، ومن ينزع سيادته عن أرض وطنه، ومن ينزع هذه السيادة من أصحابها، ومن يحرم من حقه النقض فى تقرير النصير، ومن يقرر مصائر الآخرين، ومن يحرم بالقوة طغيان الاحتكارات الرأسمالية العالمية على

حساب الحميات الوطنية لاقتصادات الدول النامية.. ثم وقفنا يجب أن يكون ضد القرية المعولة، ومع القرية العالمية... إننا نلنا ضد التقنيات التي تفتح الحدود وتزيل السدود، ولكننا نريد استخدام هذه التقنيات لفتح الحدود بين دول عالم الإسلام، لأن يكون الفتح فقط لحدود كل بلد مسلم مع مركز الهيمنة الغربية.. فالتقنيات التي تفتح الحدود رأسياً مع الشمال، يمكن ويجب أن تفتح حدودنا أفقياً مع دول الجوار الإسلامي، لتحقيق العافية التي تمكنا من تحمل رياح الشمال!..

وكذلك الحال بين عالم الإسلام ودول وحضارات الجنوب، فتساند دأثرتنا الحضارية مع هذه الحضارات هو جزء من ترتيب الإمكانيات لتحقيق شروط التوازن في هذه المواجهات..

● كذلك، على قوى البقطة والأصالة - الوطنية والقومية والإسلامية - أن تكشف زيف التعريب الفكري في بلادنا، ذلك الذي رحبت رموزه بالعولة، باعتبارها «واقعا.. وقطارا.. ركوبه قضاء وقدر»، والامتناع عن اللحاق به سيودى بالرافضين والمترددین إلى مصير الهنود الحمراء.. هؤلاء الذين زعموا «أن الحداثة الغربية عموماً، والعولة المعاصرة خصوصاً، وما أفرزته من ثقافة.. في طريقها إلى أن تصبح ثقافة عالمية أو كونية شاملة بكل ما في الكلمة من معنى فلا شيء قادر على الوقوف في طريقها، ولن تستطيع الثقافات التقليدية أن تصنع شيئاً أمام ثقافة العولة.. أحببنا ذلك أو كرهنا، وافقنا أو رفضنا!»!.. (٣١)

(٣١) د. تركي الحيد «هوية بلاهوية» - بحث مقدم إلى مؤتمر «العولة، قضايا الهوية الثقافية» - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - مارس سنة ١٩٩٨م -

علينا أن نكشف زيف هذا «المنطق» التغريبي ، بالتمييز بين «الواقع» وبين «التسليم بهذا الواقع» . . فالعونة - كطور جديد في واقع وعلاقة النظام الغربي، وخاصة الأمريكي، بالعالم - هي حقيقة لا ينكرها إلا واهم، ولكن المطلوب هو - التعامل - مع هذا الواقع، وليس - التسليم والقبول - بهذا الواقع . .

لقد جاء على عالمنا الإسلامى حين من الدهر عمته بلوى الاستعمار الأوربى الحديث . . ومن قبل واقع هذا الاستعمار الحديث ، عاش عالمنا الإسلامى واقع الغزوة الصليبية ، التى دامت - هى الأخرى - قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م] وإبان ذلك واجهت أممتنا واقع الاحتلال العسكرى والنهب الاقتصادى والاستعمار الاستيطانى . . وفى مفردات ذلك الواقع تحولت القدس إلى مدينة لاتينية صليبية . . والمسجد الأقصى إلى كنيسة . . والأزهر إلى اصطبل خيل «بونابرت» . . والجزائر إلى قطعة من فرنسا . . الخ . الخ . . لكن الأمة «تعاملت» مع هذا «الواقع» حتى غيرته ، ولم «تقبل» بذلك الواقع ، أو «تلحق» به ، أو «تدمج» فيه . . فالاعتراف بالواقع شىء ، والقبول به شىء آخر . . وذلك حقيقة يجب أن نكشف بها زيف التغريب الفكرى ، والذي جعل نفراً من مثقفينا أشد حماساً للعولمة الغربية ، ولتحرير التجارة العالمية من جماهير غربية تظاهرت - فى «سياتل» و «دبفوس» سنة ١٩٩٩م . . و «بانكوك» سنة ٢٠٠٠م - ضد هذه العولمة ، واصفة إياها «بالإمبريالية الجديدة» ! . .

كما لا بد من كشف العمالة الحضارية للذين لم «ينبهروا»

بالعولمة فقط ، وإنما رحبوا بها باعتبارها الاجتياح للقيم والثقافة الإسلامية التي يكرهون ! ..

● كذلك ، علينا أن نبرز ونشمن ونعظم وعى كثير من حكوماتنا ونظمنا وطبقاتنا الإجتماعية بمخاطر العولمة ، وسعيها إلى ترتيب البيت الإسلامى فى مواجهة تحدياتها . . . وأن نميز بين مواقف «صانع القرار» - ويده فى النار- وبين شرائح التغريب الثقافى ، المحسوبة أحيانا على صانع القرار ! ..

ففى الوقت الذى كان نفر من شواذ المثقفين فى مصر يحتفلون مع فرنسا بمرور مائتى عام على غزوها - بقيادة «بونابرت» - لـ مصر والشرق- أى يحتفلون بالاحتلال بدلا من الاستقلال!- كانت الحكومة المصرية تتسلمل . شاكية من العولمة ، التى جعلت أوروبا ، وفى المقدمة منها فرنسا ، ترفع على مصر قضية إغراق الأسواق الأوروبية بالسلع المصرية! . . الأمر الذى أفضى إلى خسارة مصر ٤١٪ من تجارتها مع أوروبا . . فى حين أن واقع أرقام التجارة كان يقول : إن مصر قد صدرت إلى فرنسا ٤٠ مليون دولار ، واستوردت منها ٧ مليارات!! .. (٣٢)

ولقد كان خطاب مصر الدولة فى مؤتمر «ديفوس» سنة ١٩٩٨ م دعوة لموقف موحد ضد مخاطر العولمة ، لاعلى اقتصادات الجنوب النامية وحدها . وإنما على اقتصادات الدول «المتقدمة» ، فى المدى الطويل ، ذلك أن إفقار دول الجنوب- وفيها ٨٠٪ من سكان

(٣٢) (الأهرام) - القاهرة- حديث الرئيس محمد حسنى مبارك - فى ١ - ١٠ - سنة ١٩٩٨ م -

العالم - معناه انعدام القوة الشرائية لسلع ومنتجات هذه الدول «المتقدمة» - وتحول رأس المال المالى إلى المضاربات ، بدلا من الإنتاج ، لن تقف كوارثه وزلازله عند الدول النامية وحدها ، لأن عولة الاقتصاد ، ستجعل الكوارث عالمية أيضا ! ..

ولقد تجلّى هذا الوعي بمخاطر العولة الاقتصادية فى السعى الحثيث - رغم المعوقات الخارجية والداخلية - لترتيب البيت العربى والإسلامى ، بالتكامل الاقتصادى ، والمناطق الحرة ، والسوق المشتركة .. وشهدت السنوات الأخيرة المساعى لإقامة العلاقات والتكامل والتساند بين الدول الثماني - الإسلامية - والدول الـ ١٥ .. والكوميسا - العربية الإفريقية - الخ ..

كذلك ، وعت التجارب التنموية الآسيوية - وخاصة التجربة الماليزية - دور العولة ، ورأس المال المالى ، «بتياراته الساخنة الهائلة فى البورصات والمضاربات» فى إجهاض هذه التجارب التنموية ، وتخريب ثمرات المعاناة التى بذلتها شعوب تلك البلاد فى سبيل التقدم والنهوض والرخاء ..

ووعت أفريقيا مخاطر العولة ، فجاء «إعلان الجزائر» ، الصادر عن قمة منظمة الوحدة الإفريقية - فى ١٤ - ٧ - ١٩٩٩م - ليحدد المخاطر الخمسة التى تواجه القارة ، وعالم الجنوب ، فإذا بالعولة هى الخطر الأول ، ومعه : تهمة إش الأمم المتحدة - وهو من آثار العولة - .. ونزع السلاح النووى - والإرهاب والجريمة المنظمة - وانحسار اتفاق التنمية للدول النامية فى ظل الاقتصاد العالمى - وهو أيضا من آثار العولة - ..

فهذا الوعي بمخاطر العولمة ، عند «صانع القرار» .. وهذه المساعي - الغير كافية حتى الآن ، والتي لا تتناسب مع شراسة التحدى - جديدة بأن تكون فى وعى وحسابات قوى اليقظة والأصالة - الوطنية والقومية والإسلامية - فى بلادنا ، وذلك لدعمها وتعظيمها ، والحذر من طغيان التناقضات الثانوية بين قوى اليقظة هذه وبين صناع القرار على التناقضات الرئيسية والعدائية بين الأمة حكاماً ومحكومين وبين قوى - الهيمنة العولمية » ..

لقد عرفت بلادنا ، فى مواجهة الاستعمار التقليدى والمباشر ، إطار «الجبهة الوطنية» العريضة ، التى جمعت قوميات الأمة وطبقاتها ومذاهبها وتياراتها الفكرية والاجتماعية ضد الاحتلال الأجنبى .. ومطلوب اليوم : الدعوة إلى جبهة وطنية عريضة لمواجهة الامبريالية الجديدة - العولمة - التى تبحر عالمنا دون جيوش! .. وكما استفدنا من تقنيات الثورة الصناعية الأوروبية التى أفرزت ظاهرة الاستعمار - فى مواجهة هذا الاستعمار ، وفى تغيير واقعنا ، علينا اليوم - الاستفادة من تقنيات عصر العولمة فى ترتيب البيت الإسلامى - لتحقيق عالمية العالم ، بدلاً من عولته ..



إن عالم الإسلام ، ومعه حضارات الجنوب ، تملك من الإمكانيات ما يغرى المخلصين والواعين بترتيبها وتعظيمها ، لا للعزلة بها والانغلاق عليها ، فذلك وهم غير ممكن وغير مفيد ، وإنما لتعديل موازين القوى الدولية ، وتحقيق العالمية الإنسانية ، بدلاً العولمة الغربية .. فعالم الجنوب يستورد «المواد المصنعة» من الشمال

- وأكثرها متخلفة والحديث منها هو الاستهلاكى لا الانتاجى -
يستوردها الجنوب بأعلى الأسعار ، بينما يصدر للشمال - بأرخص
الأسعار - ٤٠٪ من المعادن - و ٣٥٪ من النفط - و ٩٣٪ من
القصدير - و ٦٥٪ من الخشب - و ٤٠٪ من القطن ..

والعالم الإسلامى وحده ، يمتلك وطننا مساحته ٣٥ مليوناً من
الكيلومترات المربعة .. تعيش فيه أمة يبلغ تعدادها نحو ربع
البشرية - ١.٣٨٤,٨١٠,٠٠٠ نسمة - بينما يعيش فى الصين قرابة
هذا التعداد على مساحة هى $\frac{1}{4}$ من مساحة العالم الإسلامى! ..
وغير الإمكانات الروحية والحضارية والثقافية التى يملكها العالم
الإسلامى - وحدة العقيدة .. والشريعة .. والأمة .. والحضارة ..
ودار الإسلام - فإن هذا العالم هو :

العالم الأول فى البترول والغاز والمنجنيز والكروم والقصدير
والبوكسيت ..

وهو العالم الثانى فى النحاس والفوسفات ..

وهو العالم الثالث فى الحديد ..

والعالم الخامس فى الرصاص ..

والسابع فى الفحم ..

وإذا كانت أغلب ثروات العالم الإسلامى إنما تستخرج من باطن
الأرض - وهى مركوزة فيها - فإن باباً واحداً من أبواب الزكاة ، وهو
زكاة الركاز - ٢٠٪ من قيمة ما يستخرج من باطن الأرض - يمكن

أن يقيم صندوقاً لتنمية كل العالم الإسلامي ، بالحلال - وفقاً لحديث رسول الله ﷺ : « .. وفي الركاز الخمس » - رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود ومالك والإمام أحمد - .. وبعيدا عن الربا الذي فاق في فحشة ربا الجاهلية القديمة .. وخارج أغلال المؤسسات الاقتصادية للعمولة الغربية - صندوق النقد الدولي .. والبنك الدولي - ..

وباستطاعة التكامل الاقتصادي أن يجعل عالم الإسلام حرّاً في مصادر غذائه ، ففيه أطول أنهار الدنيا ، وأقدم فلاح علم الدنيا الزراعية ، ومئات الملايين من الأفدنة التي يمكن أن تزرع باستثمار الفوائض النقدية الإسلامية ، المودعة في بنوك العمولة الغربية ، والتي تتأكل هناك بالمخاطر والمؤامرات ! ..

وباستطاعة التكامل الاقتصادي أن يفتح حدود عالم الإسلام أمام التجارة البينية - التي تقف الآن عند ٨٪ من حجم هذه التجارة ، بينما ٩٢٪ منها قائم بين كل دولة قطرية وبين الشمال ! .. فتقنيات العمولة يمكن وأولى بها أن تعولم عالم الإسلام أولاً ، فتفتح حدوده للتجارة الإسلامية المتكاملة ، وللتكامل الصناعي ، وبعد ذلك يكون التعامل مع الشمال كتلة اقتصادية .. فذلك هو قانون العصر ، الذي تطبقه أوروبا ، وكفارة ، وأمريكا ، وكفارة ، ونحن أولى بتطبيقه ، لأننا «أمة» ، ولسنا مجرد مساحة في الجغرافيا ! ..

ومنظماتنا الإقليمية - العربية .. والإسلامية .. والإفريقية - لو نفخت فيها الروح ، وتم تفعيلها ، يمكن أن تمثل الشكل المعاصر لوحدة أمة الإسلام ودار الإسلام - أي الخلافة الإسلامية الجديدة

- التي تزدهر في إطار جوامعها العامة والمرنة ومصالحها المشتركة
الدول القطرية والقومية . . هذا الشكل وهذه الصيغة التي أفرد لها
المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا ١٣١٣ - ١٣٩١ هـ
١٨٩٥ - ١٩٧١ م] دراسته النفسية عن [فقه الخلافة وتطورها لتصبح
عصبة أم إسلامية] . . والتي سبقه في الإشارة إليها جمال الدين
الأفغاني - في [العروة الوثقى] - قبل مائة وعشرين عاماً - عندما
قال : « إن الاتفاق والتضافر على تعزيز الولاية الإسلامية من أشد أركان
الديانة المحمدية، والاعتقاده من أوليات العقائد عند المسلمين . . والدول
الإسلامية متصلة الأراضي، متحدة العقيدة، يجمعهم القرآن، فملا
يتفقون على الذب والإقدام كما اتفق عليهم سائر الأمم؟ . . ونوافقوا
فليس ذلك يبدع منهم، فهو من أصول دينهم . . لا تنصم بقولس هذا أن
يكون مثل الأمر في الجميع شخصاً واحداً، فإن هذا ربما كان عسيراً،
ونكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن، ووجهة وحدتهم الدين،
وكل ذي مثل على منكم، يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع، فإن
حياته بحياته وبقائه ببقائه . . ألا إن هذا، بعد كونه أساساً لدينهم، تقضي به
الضرورة وتحكم به الحاجة في هذه الأوقات . . » (٣٣)



أما الخطوة الأولى على هذا الطريق - الشاق . . والذي هو الطوق
الوحيد لنجاة هذه الأمة - فهي الوعي بحقائق الواقع، وساقى هذا
الواقع من « فرص » ومن « مخاطر » . . واستخدام هذا الوعي في

(٣٣) الأعمال لكاتبه جمال الدين الأفغاني ج ٢ ص ٢٧ - ٢٩ . دراسة وتحقيق

د محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٨١ هـ

تجديد الفكر الاسلامى ، وفى الإبداع بمختلف ميادين هذا الفكر ، ليكون لأشواقنا النهضوية « دليل العمل » الذى ينير لطلائع الأمة الطريق . . . ولتكون لهذه الأمة الثقافة والأداب والفنون التى تملأ النفس الإسلامية وتغذى الوجدان الإسلامى ، وتروح عنهما ، حتى لا تملأ العوالة فراغنا الثقافى والروحى بقيم الانحلال وثقافة الحداثة اللادينية . . فما لم تملأ فراغنا بثقافة الحلال وفنونها وآدابها ، فإن فراغنا هذا سيمتلئ بثقافة الانحلال . . .

فإذا كانت العوالة تعنى صب العالم فى قالب الحضارة الغربية المهيمنة . . اقتصاداً وسياسةً وقيماً وثقافة . . فإن العالمية الإسلامية والإنسانية، تريد العالم « منتدى حضارات » تتفاعل فيما هو مشترك إنسانى عام، وتتمايز فى الهويات الحضارية والخصوصيات الثقافية . . لتتدافع الأمم وتتسابق وتتعارف، بدلا من الصراع والهيمنة والقهر والاستغلال . .

ولما كان البدء - عادة . . ودائماً - هو للكلمة . . فعسى أن تكون هذه الكلمات قبساً مضيئاً على درب أمة الإسلام فى مواجهة ماتواجه من ابتلاءات وتحديات . . وصدق الله العظيم ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّبَعُوا وَلَا يَغْنَبُ الْغَنَابَةُ وَلَا يَحْزَنُوا وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَمَا يَصْعَقُ النَّاسَ وَمَا يَهْدِي وَمَوْعِظَةُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٣٨) وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾ - آل عمران : ١٣٨ - ١٤١ .. ﴿٢﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣﴾ - النساء : ١٠٠ - ١٠١ ..

إن التقدم ، وكذلك تداول الأُم للتهوض وللتراجع ، ليس حظاً صاعداً باستمرار ، ولا هابطاً دائماً وأبداً .. وإنما هناك السنن التي تحكم دورات الصعود والهبوط فيه .. وصدق رسول الله ، ﷺ ، عندما قال : « لا يلبث الجور بعدى إلا قليلاً حتى يطلع ، فكلما طلع من الجورشيء ذهب من العدل مثله ، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره ، ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل ، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله ، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره » رواه الإمام أحمد - ..

وصدق الله العظيم ﴿٤﴾ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٥﴾ يوسف : ٨٧ - ٨٨ .. والله من وراء القصد .. منه تستمد العون والتوفيق ..

الفهرس

الصفحة

٣	تحرير مضامين المصطلحات
٣	مفهوم العالمية
١٠	ومفهوم العولمة
١٤	أبعاد العولمة وميادينها:
١٤	فى الاقتصاد
١٩	والعولمة السياسية
٢٠	والعولمة التشريعية
٢١	والعولمة العسكرية
٢٢	وعولمة القيم الغربية
٣٢	وعولمة الثقافة الحديثة
٤٠	والعولمة اللغوية
٤٠	والعولمة الدينية
٤٣	والآن: ما العمل؟

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ،
ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن
والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا
إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، **تصدر هذه السلسلة ،**
التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- | | |
|--------------------------|------------------------|
| ● د . محمد عمارة | ● المستشار طارق البشري |
| ● د . حسن الشافعي | ● د . محمد سليم العوا |
| ● أ . فهمي هويدي | ● د . يوسف القرضاوي |
| ● د . سيد دسوقي | ● د . كمال الدين إمام |
| ● د . عبد الوهاب المسيري | ● د . شريف عبد العظيم |
| ● د . عادل حسين | ● د . صلاح الدين سلطان |

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإضاءة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر